إصلاحات دقلديانوس ونتائجها: (أول تاريخ العصور الوسطى الاوربية)

م م ابرار محمود صالح /قسم التاريخ/كلية التربية للبنات

ولد دقلديانوس في اقليم دلماشيا من أب فلاح، ثم ألتحق الخدمة العسكرية في الجيش وتقلد عدة مناصب عسكرية ثم أرتقى الى منصب الامبراطور، وتميزت الامبراطورية خلال عهده بأمرين: أولهما تركيب الجيش الروماني من عناصر غير رومانية، وثانيهما الدور الذي كان يلعبه الجيش في سياسة الامبراطورية. وكان دقلديانوس متفهماً لمشاكل عصره، ومدركا لمشكلات الامبراطورية التي هيأت له الاقدار اعتلاء عرشها. وكجندي نظر الى مشاكل الامبراطورية من زاوية عسكرية بالدرجة الاساس، فكان همه حماية حدود الامبراطورية أولاً قبل كل شيء.

عمل دقلديانوس على تقوية مركز الامبراطور ، فجرد فجرد مجلس الشيوخ من كل ما تبقى له من صلاحياته، ولم يعد هذا المجلس سوى مجلس بلدي يخص العاصمة روما، وصارت السلطة مركزة بيد الامبراطور يساعده في الحكم جهاز إداري ضخم، وكان الامبراطور بواسطة ذلك الجهاز يشرف على كل جزء من أجزاء الامبراطورية، وبهذا قضى دقلديانوس على النظام الذي أوجده أوغسطس والذي فيه كانت السلطة موزعة بين الامبراطور ومجلس الشيوخ لقد ذهبت كل مظاهر النظام الجمهوري التي تشبث بها الاباطرة قبل دقلديانوس وحل محلها نظام استبدادي صريح، حاول إعادة الهيبة الى الامبراطورية من ذلك أنه أنشأ بلاط فاخراً أحاطه بكل مظاهر الفخامة والفخفخة.

رأى دقلديانوس بثاقب بصره ان الامبراطورية أوسع من أن يحكمها رجل واحد، لذا قسم الامبراطورية الى قسمين، وقسم كل واحد منهما الى جزئين، يحكم الواحد منهما شخص يحمل لقب امبراطور أو أوغسطس يساعده شخصان في حكم الجزء الذي تحت سيطرته يطلق على كل واحد منهما لقب قيصر، وكانت الاجزاء الاربعة بدورها مقسمة الى مناطق وعددها مائة منطقة متساوية في المساحة تقريباً، وكان حكام المناطق يعينون ويعزلون من قبل الامبراطور من قبل الامبراطور. وعلى الرغم من ان السلطات المحلية قد ضعفت كثيراً بسبب هذه الاصلاحات فإن الامتيازات الشخصية استمرت إذ ان كبار موظفي الحكومة كانوا قد كونوا طبقة خاصة يحمل أصحابها ألقابا فخمة الى جانب أولئك الموظفين الكبار جماعة الشيوخ، لقد كون هؤلاء طبقة متميزة كان عدد افرادها في تزايد مستمر، نتيجة قيام الامبراطور بمنح بعض الاشخاص امتيازات خاصة كالإعفاء من الضرائب وبعض الواجبات الاخرى، واقطاعهم الضياع والاراضي، مع ان

الوظائف الحكومية لم تكن وراثية ولكنها اصبحت كذلك وبقية الفئات والطبقات كانت في اوضاع اجتماعية غير قابلة للتبدل والتغيير.

وأعاد دقلديانوس تنظيم الجيش وقد استمرت عملية تحصين المدن الداخلية، واصبحت فرق الحدود مقيمة وصار اصحابها من ذوي الامتيازات ومن كبار الملاكين ولجأ دقلديانوس الى انشاء قوة جديدة متحركة يمكن نقلها بسرعة من مكان الى اخر، في أي جزء من أجزاء الامبراطورية قد يتعرض الى الخطر. ولتوفير ما يقارب من (٥٠٠) ألف جندي وهو ما تحتاجه الامبراطورية ، واضطرت الحكومة الرومانية تشجيع الجرمان والبربر والعرب على الانخراط في جيشها، والواقع هناك قبائل جرمانية بجملتها سمح لها باجتياز حدود الامبراطورية، على اعتبار انها حليفة للإمبراطورية، وانها تكون جزء من قوة دفاعها.

وأراد دقلديانوس اصلاح الاوضاع الاقتصادية في الامبراطورية فحاول السيطرة على العملة وتثبيت قيمتها وتحديد اسعار المواد الغذائية وايجاد نظم جديدة للضرائب والسيطرة على جميع المشاريع الاقتصادية التجارية والصناعية والزراعية. وكانت الازمة المالية هي المشكلة الاقتصادية المباشرة التي واجهت الامبراطورية الرومانية وتتلخص في زيادة مصروفات الحكومة على وارداتها وذلك نتيجة الجهاز الاداري الضخم والجيش الروماني الكبير من جهة وسوء نظام الضرائب من جهة أخرى. نجح دقلديانوس في تثبيت قيمة العملة ولكن النقود الذهبية والفضية بقيت شحيحة وقليلة، ومن اصلاحات دقلديانوس المهمة تنظيم اصحاب الحرف المختلفة في نقابات وكان الغرض من ذلك إجبار كل نقابة على انتاج مقدار معين من الوحدات الصناعية وذلك لغرض الحفاظ على كمية الانتاج الذي عانى من نقصاً مستمراً، وتنظيم اصحاب المهن في نقابات كان ييسر امر جباية الضرائب من أفرادها، فقد صارت كل نقابة ملزمة بدفع مقدار معين من المال الى الحكومة وهي بدورها تجمع ذلك المال من منتسبيها، وأجبر دقلديانوس الابناء على امتهان نفس المهن التي كان يمتهن بها آبائهم، لهذه الاجراءات أثرها في تخفيف تلك الضائقة المالية التي عانت منها الامبراطورية، ولكنها اضرت بالمشاريع الفردية وأدت على المدى البعيد الى ركود الحياة الاقتصادية في المجتمع الروماني.

وامتدت يد دقلديانوس الى الريف ولكن قوة كبار الملاكين هنا حدت من سلطة الحكومة وحالت بينها وبين احداث أي تغيير جذري في وضع الريف الروماني، لقد كان الفلاح الروماني الحر يؤلف ركيزة مهمة من ركائز المجتمع الروماني، كما كانت ضريبة الارض مصدراً اساسياً للدخل الحكومي وكل ما فعلته الحكومة عندما تدهورت الزراعة وتناقصت الضريبة انها منعت الفلاحين الاحرار من ترك اراضيهم، وأوكلت جمع الضرائب منهم الى كبار الملاكين واحتفظ هؤلاء بالجزء الاكبر من الضرائب التي تم جبيها من الفلاحين لانفسهم، وبمرور الزمن اسندت الحكومة الى كبار الملاكين واجبات

حكومية أخرى كحفظ الأمن المحلي والقضاء، وهيمن بعض كبار الملاكين على مقاطعات واسعة جداً تمتعوا فيها بنفوذ كبير للغاية، وبذلك صاروا حكام مستقلون فعلاً وهؤلاء هم بعض اسلاف النبلاء الاقطاعيين الذين سادوا في اوربا خلال عهد الاقطاع من العصور الوسطى. وبعد الاطلاع على اصلاحات دقلديانوس يلاحظ انها كانت حلولا عملية لأوضاع حرجة تتطلب حلولاً سريعة ومؤقتة وكانت النتيجة جيدة في بعض الحالات فقد أعيد الأمن الى أغلب أجزاء الامبراطورية وحفظت الحدود لمدة قرن آخر من الزمان.

الامبراطورية في عهدي قسطنطين الكبير و ثيودسيوس:

أعتلى قسطنطين الكبير العرش في مطلع القرن الرابع الميلادي (٣٠٥-٣٣٧)، وكان من اعظم الاباطرة من التاريخ الروماني، فقد نجح في بسط سيطرة الدولة على أجزاء الامبراطورية، ويعد الاعتراف بالمسيحية وبناء مدينة القسطنطينية من أهم إنجازاته، وبالنسبة للامر الاول فقد أعترف قسطنطين بموجب مرسوم ميلان ٣١٣م، بالديانة المسيحية وبذلك اصبحت هذه الديانة بمستوى باقي الديانات الاخرى في الامبراطورية الرومانية وبذلك قضى على مشكلة كانت تسبب المتاعب للامبراطورية.

أما بالنسبة الى بناء عاصمة جديدة للامبراطورية في الشرق، فقد قام ببناء هذه العاصمة محل بلدة بيزنطة القديمة على الضفة الاسيوية للبسفور عند اتصاله ببحر مرمره وزادت اهمية الاقاليم الشرقية للامبراطورية وكانت تسير هذه المدينة نحو الازدهار على العكس من روما، وفي أواخر القرن الرابع الميلادي أعتلى العرش الامبراطور ثيودسيوس (٣٧٨-٣٩٥م) في ظروف عصيبة بعد معركة أدرنة التي دمر فيها الجيش الروماني أمام الغوط الغربيين واستطاع ثيودسيوس ان يعيد الثقة الى الامبراطورية حينما تم فصل الامبراطورية الى قسمين منفصلين حينما قام ثيودسيوس بتقسيم امبراطوريته بين أبنائه فقد تقلد هونوريوس عرش روما بينما شقيقه أركاديوس تقلد عرش القسطنطينية.

الاحتلال الصليبي- قيام الدويلات الصليبية: (أول تاريخ العصور الوسطى الاوربية)

م م ابرار محمود صالح /قسم التاريخ/كلية التربية لبنات

لقد كانت الحالة العامة في البلاد الاسلامية ملائمة لتقدم الصليبيين فقد كان العالم الاسلامي آنذاك تنقصه الوحدة السياسية والقيادة الكفؤة. ففي اسيا الصغرى لم تكن سيطرة السلاجقة محكمة فكانت الحاميات العسكرية في الكثير من المناطق ضعيفة. لم يكن باستطاعتها صد التقدم الصليبي، كما كانت هناك اماكن مهمة ليس فيها حاميات على الاطلاق ولم تكن علاقات السلاجقة مع السكان حسنة، يفسر هذا الوضع سرعة تقدم الصليبيين في اسيا الصغرى، وسقوط المعاقل الاسلامية هناك الواحدة بعد الاخرى. ولم يكن وضع السلاجقة في بقية انحاء دولتهم بأحسن حال، فبعد وفاة ملك شاه عام ١٠٩٢، اخر سلاطين السلاجقة الاقوياء لم تعد في سوريا سلطة قوية وكثرت النزاعات والحروب بين الحكام المحليين وكان الاخوان رضوان ودقاق قد توليا حكم حلب ودمشق وسرعان ما نشب الخلاف بينهما، واتفق رضوان مع باغي سيان امير انطاكيا على مهاجمة دقاق، في ظل هذا الوضع لم تستطع أي من الدولتين الفاطمية والعباسية قيادة العالم الاسلامي آنذاك والوقوف بوجه الزحف الصليبي بسبب حالة الضعف والانحلال فيهما.

عبر الصليبيون البسفور عام ١٠٩٧، واحتلوا نيقيه بعد ان اكتسحوا حاميتها السلجوقية وبعد مدة قصيرة الحقوا هزيمة كبيرة بالجيش السلجوقي في دور يليوم (اسكي شهر) وفتح بذلك الطريق امامهم للتقدم في اسيا الصغرى وواصلوا زحفهم حتى وصلوا شمال سوريا، وهناك ضربوا الحصار على مدينة أنطاكيا المهمة وكانت تنقصهم التجهيزات ومستلزمات الحصار، فانتظروا وصول الاسطول الايطالي لاحكام عملية الحصار والشروع بالهجوم على المدينة، ودخول السفن الايطالية يعد من التطورات المهمة في الحروب الصليبية. فمن ناحية لم يعد الصليبيون يعتمدون بصورة كلية على مواصلاتهم البرية عبر الاراضي البيزنطية للوصول الى سوريا وفلسطين فصار بامكانهم انذاك الاعتماد على المواصلات البحرية.

ثم ان وصول الاسطول الايطالي الى الشرق كان باعثا على نشاط التجارة بين الشرق واوروبا عبر البحر المتوسط الامر الذي كان له اعمق الاثر في تطور اوروبا السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وصارت الخدمات التي تقدمها السفن الايطالية امر له بالغ الاهمية للصليبيين، وادرك اصحاب السفن تلك الحقيقة فاشترطوا في طلباتهم وفي ثمن خدماتهم واستغلوا حاجة الصليبيين الى سفنهم فوجهوا الحرب بمجملها لخدمة مصالحهم الخاصة ولم تمض مدة طويلة على قيام الحروب الصليبية حتى وطدت المدن التجارية الايطالية اقدامها في مدن سوريا وفلسطين.

وخلال حصار الصليبيين لأنطاكيا اشتدت الخلافات بينهم فغادرت فئة منهم بقيادة بلدوين ساحة الحرب، وتوجهت الى اعالي الفرات وادت عملياتها الحربية الى سقوط مدينة الرها واقام بلدوين امارة

فيها، واستمر حصار انطاكيا ثمانية اشهر حتى سقطت في حزيران عام ١٠٩٨، واتخذ بوهيموند مقر لإمارته التي عرفت بإمارة انطاكيا وأثار سقوط انطاكيا حماس الصليبيين وتناسوا لمدة قصيرة خلافاتهم وتوجهوا الى بيت المقدس، وبعد حصار اكثر من شهر سقطت المدينة المقدسة بأيديهم في الخامس عشر من تموز عام ١٠٩٩، واقام الصليبيون مذبحة كبيرة حتى ان الدماء سالت في الشوارع وسار ريموند بعد احتلال القدس الى طرابلس واحتلها واقام لنفسه فيها امارة.

وهكذا اقام الصليبيون لأنفسهم اربع دويلات في قلب المنطقة العربية هي كونتيسة الرها وامارة انطاكيا وكونتيسة طرابلس ومملكة القدس والمواقع المقدسة الاخرى (الناصرة وبيت لحم) وموانىء بيروت وعكا وصيدا وحيفا وعسقلان كان حاكمها جودفرى دى بوايون الذي اكتفى بلقب حامي لقبر المقدس. وعند وفاته اخذ اخوه بلدوين لقب الملك واعترف بسيادة القدس على بقية الدويلات الصليبية ولكن ذلك الاعتراف كان اسميا فقد تمتعت كل واحدة بالسيادة والاستقلال الكاملين.

وقسمت كل واحدة من الدويلات الاربع بين الاتباع بشكل ينسجم مع الذهنية والتقاليد الإقطاعية. فكان الملك او الكونت السيد الاقطاعي الاعلى ويليه الاتباع الاقطاعيون لكل منهم اقطاعه الخاص. وارتبط بيمين الولاء الاقطاعي لسيدة الاعلى. وفي اسفل البناء الاقطاعي الاوروبي الذي لم يكن يمثل الا فئة حاكمة صغيرة عاشت بين جموع ناس من المسلمين والمسيحيين. تأثر المسيحيون الاوربيون كثيراً بسكان البلاد فاخذوا عنهم عاداتهم وملبسهم ومأكلهم واستخدموا الاطباء العرب وتكلموا العربية. واقيم في كل الدويلات الصليبية نظام كهنوتي ذات صلة بكنيسة روما وادخل نظام الأديرة الغربي الى الشرق. وتطورت مؤسسة دينية في الشرق عرفت بالمؤسسة الدينية العسكرية وهذه في الاساس تكونت من رهبان ركزوا جهودهم على حماية الحجاج والمسافرين الى بيت المقدس ثم صاروا يتدربون جيدا على حمل السلاح وازداد عددهم وبلغت اهميتهم حد تكفلهم بحماية الدويلات الصليبية في الشرق.

ومن أشهر تلك الفرق الداوية وفرقة الفرسان الاسبتالية وكان معظم الاعضاء في هذه الفرق من صغار النبلاء الذين مزجوا الحماس الديني بحب القتال والمغامرة وقد منحوا قلاع واراض في الدويلات الصليبية وصاروا في نهاية الامر يملكون اوسع الاراضي واقوى القلاع. وتركز النشاط الاقتصادي في المدن الساحلية وقد حصل التجار الايطاليين على احتكارات خاصة بل واعطوا من كل ميناء جزء وبما ان خدماتهم لا يمكن الاستغناء عنها لذلك تسابقت السلطات الدينية والدنيوية في منحهم الامتيازات وتوفير لهم التسهيلات وبذلك فإن التجار الايطاليين من اكثر المنتفعين من الحروب الصليبية.

وعاش الصليبيون في محيط غريب معاد لهم لذلك اهتموا بالمؤسسات الدفاعية وكانت هجمات المسلمين مستمرة على معاقلهم، وكان لزاما على كل نبيل تقديم عدد من الفرسان والمشاة للخدمة في الجيش الرئيسي وهذا ينسجم تماما مع التقاليد الاقطاعية الاوربية ومن حيث تركيب الجيش تعلم

الصليبيون ان الخيالة الثقيلة التي لا تسندها قوة من المشاة المدربة خاصة من رماة النبال عديمة الجدوى والفائدة أمام الفرسان المسلمين ذوي الاسلحة الخفيفة ورماة النبال وعمد الصليبيون الى بناء قلاع قوية على طول حدودهم وحدث تطور هام في نباء القلاع وتحصين الحدود.

ونقاط الضعف عند الصليبيون كثيرة منها قلة عددهم في محيط غريب معاد لهم، فقد رجع الكثير من الصليبيين الى ديارهم أما القادمون الجدد كانوا قليلي الخبرة وينقصهم الحماس للعيش في الشرق وكثيرا ما كانوا مصدر لمتاعب الدويلات الصليبية. ونقطة الضعف الاخرى هي النزعة الاقطاعية المتمثلة باللامركزية فلم يكن هناك ما يجمع شمل هذه الدويلات ويوحد كلمتها ويدفعها لاتخاذ عمل مشترك الا في حالة الازمات الكبرى وحتى في مثل هذه الحالات لم تنجح الدويلات الصليبية من اقامة قيادة موحدة ولم تعش تلك الدويلات المتناثرة والمتنافرة مدة طويلة الا بسبب الخلافات بين المسلمين انفسهم وتفرق كلمتهم وعندما ضم العرب والمسلمون شملهم وتوحدت قيادتهم تهافتت القوى المسيحية وسقطت الامارات الصليبية الواحدة بعد الاخرى.

المقاومة العربية الاسلامية:

انهارت دولة السلاجقة نهاية القرن الثاني عشر واستطاع اتباع السلاجقة وهم الاتابكة انتزاع ما تبقى لامارائهم من سلطة وتكوين امارات خاصة بهم وكان أهم وأشهر الاتابكة هم اتابكة الموصل وأعظم هولاء الاتابك عماد الدين زنكي الذي حكم الموصل عام ١١٢٧، ومد زنكي نفوذ امارته وضم اليها حلب وحلوان ونصيبين ومناطق اخرى وفي عام ١١٤٤، نجح عماد الدين في ضم الرها والقضاء على الامارة الصليبية هناك وهكذا انهارت اول دويلة صليبية بعد خمسين عاما من قيامها وبدأ العرب يجمعون قواتهم تحت قيادات مؤمنة مخلصة.

الحملة الصليبية الثانية:

وصلت أنباء سقوط امارة الرها الى اوروبا فأثارت جزع الاوربيون وتعالت الاصوات للدعوة الى حملة جديدة فاستجاب لويس السابع ملك فرنسا وكونراد الثالث ملك المانيا، وأخذا طريقيهما الى الشرق وكانت الحملة تتألف من جيشين نظاميين يقودهما ملكان كبيران في اوروبا، وسارا بطرق برية وكل جيش كان يسير منفصل عن الجيش الاخر تجنبا للاحتكاك بين جيشيهما، وخسر كونراد اغلب جيشه في اسيا الصغرى فإضطر الى العودة الى القسطنطينية ثم حاول الملكان بالاتفاق مع ملك بيت المقدس مهاجمة دمشق ولكن ذلك الهجوم فشل فشلا ذريعاً مما ادى الى رجوع كونراد الى القسطنطينية عام ١١٤٨، ورجع لويس بحرا الى فرنسا وهكذا فشلت الحملة الصليبية الثانية. وبفشل هذه الحملة زادت قوة المقاومة الاسلامية في عهد نور الدين زنكي الذي خلف أباه عماد الدين وتمت وحدة الموصل سوريا ومصر وازداد ضغط القوى الاسلامية على مملكة بيت المقدس فهاجمها صلاح الدين الايوبي من مصر وهاجمها نور الدين زنكي بجيشه القادم من الشام، وبوفاة نور الدين زنكي عام ١١٧٤، اصبح صلاح الدين الحاكم الوحيد لسوريا ومصر، وكان همه الاول القضاء

على الصليبيون في بيت المقدس وخاض عدة حملات ناجحة خلال عامي ١١٨٥-١١٨٦، وتمكن في معركة حطين من تحرير بيت المقدس في الثاني من تشرين الاول عام ١١٨٧،خسر فيها الصليبيون ١٥٠٠ فارس و ٢٠٠٠٠ مقاتل من المشاة وعامل الصليبيون المنكسرين بمنتهى الانسانية والرأفة.

الحملة الصليبية الثالثة:

أثار سقوط القدس حفيظة الاوربيون وجاءت الدعوات للقيام بحملة صليبية جديدة فجهزت هذه الحملة التي كان للكنيسة دور بارز في اقناع ملوك اوروبا للمشاركة في هذه الحملة فقبل كل من فردريك الاول امبراطور المانيا و ريتشارد الاول ملك انكلترا وفيليب اوغسطس ملك فرنسا المساهمة ورحلوا الى الشرق للمساهمة في استعادة بيت المقدس ومات الاول غريقا في اسيا وتشتت جيشه، واستولى ريتشارد على جزيرة قبرص وهو في طريقه الى الشرق بحجة تعرض اهلها للسفينة التي على متنها شقيقته وخطيبته وقد وصلا الملكان فيليب وريتشارد الى فلسطين وقد نقلا عداوتهما وبغض احدهما للأخر الى هناك وهذا الامر دفع فيليب الى العودة الى فرنسا وترك ريتشارد وحدة في فلسطين وكان نموذجا للشجاعة والبطولة ورأى المؤرخون انه وصلاح الدين نموذج للبطولة خلال العصر الوسيط ولم تنجح محاولات ريتشارد في استعادة بيت المقدس لذلك رجع من الشرق في تشرين الاول عام ١١٩٢، وهكذا فشلت هذه الحملة.

وظهر خلال القرن الثالث عشر شعور متنامي معادي للحروب الصليبية وأنصرف البابوات عن الدعوة لها نتيجة انشغالهم مع خصومهم في اوروبا فشنوا هجوم على الهراطقة جنوب فرنسا، وانشغلوا بصراعهم مع عائلة هوهنشتاوفن حكام الامبراطورية الرومانية المقدسة.

الحملة الصليبية الرابعة:

لقد تلاش الحماس الديني للحروب الصليبية وبرزت المصالح الاقتصادية للاوروبيون بشكل واضح فالهدف من هذه الحملة المصالح الاقتصادية والسياسية والمطامع التوسعية، فقد دعا الى هذه الحملة واحد من أعظم باباوات العصور الوسطى انوسنت الثالث وانطلقت الحملة في مطلع القرن الثالث عشر واتفق قادة الحملة مع البنادقة من أجل نقلهم الى الارض المقدسة ولكن الاموال التي دفعها الصليبيون لم تكن كافية بحسب ما طلبه البنادقة فاقترح هؤلاء على الصليبيون مهاجمة (زارا) في دالماشيا وهي مركز تجاري منافس للبنادقة من اجل تسديد ما بذمتهم وبالفعل هاجموا زارا ثم قدم البنادقة للصليبيون مشروع اكثر نفعا وهو مهاجمة القسطنطينية واعترض البابا على هذا العمل وبالفعل تم مهاجمتها وسقطت القسطنطينية بيدهم عام ١٢٠٤، وأستاء من ذلك البابا انوسنت الثالث ولكن سرعان ما أيد ذلك لفرض سيادة كنيسة روما على الكنيسة الشرقية ونجح الصليبيون اقامة دويلة لهم في القسطنطينية بدل القدس واسترجعها البيزنطيون منهم عام ١٢٦١.

حملة فردريك الثاني:

قام فردريك الثاني ملك صقلية وامبراطور المانيا بحملة صليبية خلال الاعوام ١٢٣٦-١٢٣٩، ولم يبارك البابا هذه الحملة بل ان فردريك الثاني كان تحت قرار الحرمان الكنسي عند ذهابه للشرق، لقد كان فردريك حاكما مستنيرا متسامحا متاثر بالحضارة العربية التي كانت مزدهرة انذاك في صقلية وتكلم اللغة العربية، وشن حرب صليبية على املاكه في اوروبا ولم يحارب فردريك الثاني المسلمين بل عقد معاهدة مع الملك الكامل ايوب امدها عشر سنوات اعترف الاخير بموجبها بمملكة بيت المقدس ولم يبق فردريك الثاني في الشرق الا اشهر قليله رجع بعدها الى اوروبا ولم تستطع مملكة بيت المقدس الاحتفاظ بهذه الاماكن المقدسة لان المسلمين لم يعترفوا بالمعاهدة واستمرت هجماتهم المركزة ضد الصليبيين فانهارت مقاومتهم وضعف جانبهم وبقوا منعزلين في قلاعهم وحصونهم.

حملة لويس القديس:

القديس لويس ملك فرنسا من الملوك والامراء القلائل الذين كانت تتحكم فيهم عواطف دينية صادقة ودفعته تلك العاطفة الى الذهاب الى الشرق بحملتين الاولى قام بها عام ١٢٤٨، إذ وصلت الى دمياط بمصر واحتلتها ولكن محاولته التقدم داخل الاراضي المصرية باءت بالفشل بسبب المقاومة الشديدة التي وأجهها من السكان المحليين ووقع هذا الملك اسيراً مع بعض قواده في معركة المنصورة التاريخية واطلق سراحه بشرط تسليم دمياط ودفع فدية مالية كبيرة وفي عام ١٢٧٠ قام بحملة صليبية اخرى الى تونس وقد وافته المنية بعد مدة قصيرة من وصوله الى هناك. وقد تصدى الشعب في تونس لذلك الغزوا واضطر قادتها الى عقد الصلح فعادت ادراجها الى فرنسا تجر اذيال الخيبة والفشل والواقع ان حملة القديس لويس ملك فرنسا على تونس كانت اخر الحملات الصليبية على المنطقة العربية.

نهاية الصليبيين:

أهمل الاوربيون بصورة متزايدة الدويلات الصليبية في سوريا وكانت الخلافات الداخلية تمزق الصليبيين المتبقين في الشرق، وكانت هجمات المسلمين عليهم مستمرة فلم يترك لهم مجال لجمع شتاتهم واستعادة قوتهم وانتعشت امال الصليبيين بازدياد قوة المغول وتوغلهم بالعالم الاسلامي اذ ارادوهم حلفاء ضد القوى الاسلامية. وحاول المغول بعد احتلال بغداد اكتساح سوريا، ولكن السلطان بيبرس اقوى سلاطين المماليك سحق محاولتهم واتخذ من دمشق عاصمة له عام ١٢٦٠، وسحق امارة انطاكيا وضمها الى مملكته عام ١٢٦٨، واستولى السلطان قلاوون على طرابلس عام ١٢٦٩، واستطاع ابنه الخليل السيطرة على مدينة عكا أخر معاقل الصليبيين عام ١٢٩١، وهكذا تمكن العرب والمسلمون من تصفية الوجود الصليبي في بلادهم.

أثر الحروب الصليبية في أوربا:

عملت الحروب الصليبية على تنشيط التجارة الاوروبية مع الشرق واستفادت المدن الايطالية أكثر من سواها من تلك الحروب واستمرت تجارة تلك المدن مع الشرق حتى بعد زوال الدويلات الصليبية. وقام الايطاليون بنقل البضائع الشرقية الى اوروبا مثل التوابل والسكر والانسجة الشرقية الثمينة والعطور وبمرور الزمن اعتاد الاوربيون هذه السلع واصبحت ضرورية بعدما كانت ثانوية، فحرصوا على الحصول عليها واخذوا يبحثون عن طرق بديلة للوصول اليها ونتيجة لذلك ظهرت حركة الاستكشافات الجغرافية ففي اتلقرن الثالث عشر تم اكتشاف اواسط اسيا، في حين في اواخر القرن الخامس عشر تم اكتشاف قارة امريكا.

لقد أنهت الحروب الصليبية العزلة الاوروبية وجعلت الاوربيون يختلطون بالشعوب الاسلامية فزاد أفق معرفتهم وبدأ اهتمامهم بالشعوب العربية والشرقية وبثقافاتها، وظهرت محاولات لدراسة اللغات الشرقية ومنها العربية، ووفرت الحروب الصليبية معلومات غزيرة عن الشرق وألفت كتب عن تلك الحروب. ومن الناحية الاجتماعية فإن ازدهار التجارة أدى الى تطور الفئات البرجوازية وازدياد نفوذها على حساب الطبقات الارستقراطية في اغلب الاحيان وهذا الامر ساهم في انهيار نظام الاقطاع وساندت الفئات البرجوازية الملكيات المطلقة في صراعها مع الاقطاع والارستقراطية. و ازدادت اهمية الكنيسة والباباوات في بداية الحروب الصليبية على أثر نجاح تلك الحروب في مراحلها الاولى ولكن تحول الحملات عن أهدافها حط من منزلة الكنيسة في المجتمع الاوروبي وقلل من هيبتها.

ولعل النواحي لعسكرية من أهم النواحي التي ترك المسلمون للأوربيين أثر فيها فقد تعلموا من المسلمين الاعتماد على المشاة والاسلحة الخفيفة، واقتبسوا منهم طرق جديدة لبناء القلاع والحصون، واتصال الاوربيون بالمسلمين من أهم العوامل التي ساعدت على نهضتهم وتقدمهم وتعلموا من المسلمين صناعات عديدة وطرق جديدة في الزراعة والري والملاحة والبحرية وتنظيم المدن ونظافة شوارعها وحماماتها ومرافقها العامة .

تاريخ أوربا في العصور الوسطى

مدرس المادة: م م ابرار محمود صالح

١- ظهور المسيحية :

ظهرت المسيحية في الشرق في " فلسطين" ثم انتقلت إلى الغرب وكان مؤسس هذه الديانة هو السيد المسيح " عيسى بن مريم" (عليه السلام) ، وكان لهذه الديانة مبشرين ودعاة منهم أسقف "إنطاكية" القديس " بطرس" والقديس " بولس" مبشرين في "سورية" و" فلسطين" و" آسيا الصغرى" ، والقديس " مرقص " مبشر في " مصر" ، ونتيجة وجود علاقات العبودية في الإمبراطورية الرومانية كان الفلاحون و العمال يرون في المسيحية منقذ لهم من هذه العبودية لأنها تدعو إلى المساواة و لا فضل لإنسان على آخر إلا بالعمل الذي يقدمه لذلك انتشرت الديانة المسيحية بشكل كبير في ولايات الإمبراطورية الرومانية الشرقية (سورية – مصر – آسيا الصغرى) .

٢- العوامل التي ساعدت على انتشار المسيحية :

١- لأن المسيحية ديناً سماوياً عاماً لجميع البشر .

٢- قوة إيمان المسيحيين الأوائل وجهودهم الفائقة في نشر المسيحية .

٣- سمّو المفاهيم الأخلاقية في المسيحية .

٤- الفراغ الروحي الذي كان يعانيه المجتمع الروماني .

٥- ساعد اتساع الأمبراطورية الرومانية وخضوعها لسلطة مركزية على انتقال المبشرين بسهولة .

٦- هيمنة اللغة الآرامية (السريانية) في الوطن العربي ، واللغة اليونانية في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية واللاتينية في القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية ، الأمر الذي ساعد على انتقال المسيحية بسهولة إلى مختلف أجزاء الإمبراطورية .

٣- الإضطهادات التي تعرضت لها المسيحية :

اضطهد الأباطرة الرومان المسيحية نتيجة توسع انتشارها ، وكان أول شهداء المسيحية السيد المسيح نفسه ، الذي "صلب" بأمر من الحاكم الروماني وبدسيسة من اليهود ، وفي عهد الإمبراطور " كلود" ٠

(٤١ – ٥٤ م) طرد المسيحيون من مدينة " روما" ، وفي (سنة ٦٤ م) أحرق اليهود بعض أحياء روما و اتهموا المسيحيين بإحراقها ، لذلك أصدر الإمبراطور " نيرون" مرسوماً يقضي بأن لا يكون أحد مسيحياً ، وقتل

القدسين " بطرس" و" بولس" . وفي (سنة ٣٠٣ م) أصدر الإمبراطور " ديوكليسيانوس" أمر بهدم كنائس المسيحيين ومنعهم من الصلاة و إحراق كتبهم وسجن قساوستهم وطردهم من الجيش والوظائف الحكومية ، ولكن هذا لم يردع المسيحيين فأصدر" ديوكليسيانوس " مراسيم يأمر فيها بتعذيب المسيحيين و قتلهم واعتبرهم خارجين عن القانون ، فلاقى الكثير منهم حتفهم ، لذلك أطلق المسيحيون على هذه الفترة " عصر الشهداء " ، كما أن الإمبراطور " ليبيريوس" اضطهد المسيحية أيضاً .

– الأسباب التي دفعت الرومان إلى اضطهاد المسيحية هي :

١– لأن المسيحيين رفضوا عبادة الإمبراطور الروماني وهذا الرفض يدل على عدم الولاء للدولة الرومانية و إمبراطورها ويعد من العوامل المفككة لوحدة الإمبراطورية .

٢– لخطورة تعاليم المسيحية التي تهدد سلامة الدولة و أمنها .

٣– لأن المسيحية ثورة اقتصادية ضد الاستغلال و التفاوت الطبقي السائد في العالم الروماني.

٤– لأن المسيحية ثورة اجتماعية ضد القيم الاجتماعية القائمة في العالم الروماني .

٥– بسبب الاجتماعات السرية التي كان يقوم بها المسيحيين لممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية .

٦– للاتهامات التي وجهها اليهود ضد المسيحيين .

٧– رفض المسيحيين تأدية الخدمة العسكرية الإلزامية ، وهذا الرفض يشكل خطراً على الجيش و ولائه للإمبراطورية .

٨– تخوفت السلطات الرومانية من انتشار المسيحية في الأراضي الخاضعة للدولة الفارسية – العدوة التقليدية للرومان – ، فخشيت أن يقف هؤلاء المسيحيين إلى جانب الفرس في حروبهم مع الرومان .

٤– مرسوم ميلانو والاعتراف بالمسيحية :

اعترف الإمبراطور البيزنطي " قسطنطين الأول الكبير" بالمسيحية بموجب مرسوم " ميلانو " (سنة ٣١٣ م) الذي نص على ما يلي :

١– إطلاق حرية الأديان المسيحية و الوثنية ، وإعطاء الحرية الدينية للمسيحيين والسماح لهم بممارسة عقائدهم .

٢– إعطاء الحرية الدينية لغير المسيحيين و السماح لهم بممارسة عقائدهم .

٣- إذا كانت الدولة قد اشترت هي أو أحد الأشخاص أماكن كان المسيحيون يجتمعون بها من قّبل فيجب أن تعود للمسحيين ، و إعادة ما انتزع من أملاك الكنيسة .

٥- الآريوسية :

سميت الآريوسية نسبة إلى " آريوس" وهو كاهن اسكندري يرى أن المسيح الابن مخلوق للأب فهو إذاً دونه ، و لا يمكن للابن أن يعادل الأب في المستوى والقدرة ، لذلك فأن أسقف الاسكندرية " إثناسيوس "

أنكر ما قاله "آريوس" وقال أن المسيح والإله متساويين لأنهما من عنصر واحد ، ولذلك حرم "آريوس" من الكنيسة و توجه إلى " فلسطين" ومنها إلى " نيكوميديا " ، وحصل على تأييد هناك من الأساقفة .

٦- مجمع نيقية :

نتيجة تفاقم النزاع بين " آريوس" و" إثناسيوس" دعى الإمبراطور إلى عقد مجمع ديني في " نيقية"

(سنة ٣٢٥ م) ، وكان " قسطنطين الأول" رئيس هذا المجمع ، وقد حضر (٣١٨ أسقفاً) ودامت جلساته (٩٨ يوم) وفي ختام جلساته أدان الأساقفة بالإجماع " آريوس" و تقرر نفيه إلى " ايلّيريا"

واضطهاد أتباعه ، وفي (سنة ٣٣٤ م) عفى " قسطنطين الأول " عن " آريوس" لأسباب سياسية وهي رغبة " قسطنطين " في استرضاء القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية .

٧- الارتداد عن المسيحية (٣٦١ – ٣٦٣ م):

عندما استلم عرش الإمبراطورية الرومانية " جوليان" (جوليانوس) اضطهد المسيحيين و أعلن العودة إلى الوثنية و أهم الإجراءات التي اتخذها هي :

١- أمر بفتح المعابد الوثنية .

٢- سمح بعودة الوثنيين المنفيين .

٣- تقديم الهبات و الإمتيازات لكهنة المعابد الوثنية .

٤- تجريد الكنائس من التحف و نقلها إلى هياكل المعابد الوثنية .

٥- حرم المعلمين اليونانيين المسيحيين من تعليم العلوم اليونانية .

٦- أبعد المسيحيين عن المناصب العليا في الحكومة و الجيش .

٨- تيودوسيوس الأول و المسيحية (٣٧٨ – ٣٩٥ م) :

وذلك من خلال دعوته لعقد المجمع الديني المسكوني الثاني في " القسطنطينية " (سنة ٣٨١ م) فأقر ذلك المجمع إدانة المذهب الآريوسي و تأييد المذهب النيقيوي ، وبذا قضى هذا الإمبراطورعلى الوثنية والآريوسية ودمر معالمها واضطهد أتباعها في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية .

٩- تنظيم الكنيسة المسيحية :

١- في البداية كان لكل كنيسة أسقفها الخاص و يساعده عدد من القساوسة و الشمامسة .

٢- ثم أصبح "المطران" رئيساً لكل الأساقفة اللذين يقيمون داخل الولاية التي يقوم هو على كنيسة عاصمتها وفي القرن الرابع أصبح هناك ستة " بطاركة" يقيمون في القسطنطينية وروما و إنطاكية والقدس و الاسكندرية و قرطاجة .

٣- وقد أسس كنيسة "إنطاكية" القديسان " بطرس" و" بولس" و كنيسة " روما" القديس " بطرس"

وكنيسة " الاسكندرية" القديس " مرقص" ، ثم أصبح لأسقف " روما" الزعامة الروحية في الغرب .

- أبعاد مشكلة العصور الوسطى على ضوء نظرية " هنري بيرين " :

اقترحت بعض التواريخ لبداية العصور الوسطى فقد تم اعتبار :

١- اعتبرت(سنة ٣١٣ م) وهي السنة التي اعترف " قسطنطين " بها بالمسيحية بداية للعصور الوسطى .

٢- اعتبر ت (سنة ٣٣٠ م) وهي السنة التي اتخذ فيها " قسطنطين" القسطنطينية عاصمة له ، بداية للعصور الوسطى .

٣- البعض من يعتبر بداية العصور الوسطى (٣٢٥ م) وهو العام الذي عقد فيه ط مجمع " نيقية " .

٤- البعض من يعتبر بداية العصور الوسطى (٤١٠ م) وهو العام الذي أحتل فيه الزعيم الجرماني

(زعيم القوط الغربيين) " ألارك" مدينة " روما" .

- وأهم النظريات التي طرحت عن بداية العصور الوسطى هي نظرية المؤرخ البلجيكي " هنري بيرين" (١٨٦٢ - ١٩٣٥ م) .

- عرض " بيرين" في كتابه (محمد و شارلمان) نظرية في انهيار العالم القديم وبداية العصور الوسطى وأهم النقاط التي تعنينا في نظرية " هنري بيرين " هي :

١- يقول " بيرين" إن أهم ما يميز الإمبراطورية الرومانية هو ارتباطها بالبحر المتوسط ارتباطاً وثيقاً لأن حضارة العالم الروماني تمركزت على هذا البحر الذي كان أداة لنقل الأفكار والديانات والسلع وأن عظمة الإمبراطورية الرومانية و استمرارها مرتبط بوحدة هذا البحر و بقائه بحيرة رومانية .

٢- يقول " بيرين" أن " الجرنان" لم يحطموا الإمبراطورية الرومانية و حضارتها لأنه لم تكن هناك دوافع دينية أو ضغائن دينية بين الجرمان و الرومان .

٣- يقول " بيرين" أن الفتوحات الإسلامية هي التي قضت على الإمبراطورية الرومانية و الفتوحات العربية الإسلامية أدت إلى النتائج التالية :

1- تحطيم وحدة البحر المتوسط وتغير ميزان القوى فيه.

2- الفتوحات العربية الإسلامية قضت على الحركة التجارية الأوربية في البحر المتوسط ، وعملت على قطع العلاقات التجارية بين الشرق و الغرب .

3- تحول البحر المتوسط من بحيرة رومانية إلى بحيرة عربية إسلامية ، وبذلك تحول الاقتصاد الأوربي إلى اقتصاد مغلق يعتمد على الاكتفاء الذاتي ، لذلك انهار العالم القديم و بدأت العصور الوسطى .

4- أن التجار المسلمين لم يمارسوا نشاطهم خارج حدود العالم الإسلامي .

- ويقول " بيرين" أن الذهب و زيت الزيتون و البردي و النبيذ و المنسوجات الشرقية و التوابل كانت تأتي من الشرق إلى الغرب الأوربي وظلت تستهلك ثم اختفت في القرن الثامن الميلادي حيث :

١- حلت النقود الفضية محل النقود الذهبية التي كانت تصنع بكثرة في عهد الفرنجة الميروفنجيين .

٢- انقطاع ورق البردي المستورد من مصر .

٣- انقطاع زيت الزيتون المستور من تونس .

٤- توقف استخدام الأقمشة و المنسوجات الشرقية في أوربا .

٥- توقف استخدام النبيذ الفلسطيني الذي كان يستعمل في الطقوس الدينية .

٦- توقف استعمال التوابل في الغرب الأوربي .

- ويصل" بيرين" في نهاية تحليلاته إلى نظريته القائلة بأن الغزوات الجرمانية ليست هي المسؤولة عن سقوط العالم الروماني، وأن الفتوحات الإسلامية هي التي حطمت الإمبراطورية الرومانية .

- الحقائق التي توصل إليها الباحثون المتخصصون في دراستهم النقدية لنظرية "هنري بيرين" هي :

أولاً – مسألة تحطيم وحدة البحر المتوسط :

– أثبتت الدراسات الحديثة الحقائق التالية :

١– أن البحر المتوسط طريق للتجارة وليس ضماناً للنجاح التجاري .

٢– إن الإمبراطورية الرومانية تفككت وحدتها نتيجة الغزوات الجرمانية التي اجتاحت الإمبراطورية منذ القرن الرابع الميلادي ، وانه عندما فتح العرب المسلمون " إسبانية" كانت بيد الغوط الغربيين و ليس بيد الرومان .

٣– أن الفندال الجرمان الذين استولوا على شمال أفريقية (عام ٤٢٩ م) قد قاموا بأعمال قرصنة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، لذلك هم الذين تسببوا في تحطيم وحدة عالم البحر المتوسط .

– و قد أثبت البحث العلمي الموضوعي :

١– لم يذكر في القرآن أو في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى تحريم أو منع العرب المسلمين من المتاجرة مع غير المسلمين .

٢– رغم أن الفتوحات العربية الإسلامية قد خلقت مصادر أخرى للرزق كالزراعة والصناعة ظل العمل التجاري هو المهنة الرئيسية لقطاع كبير من العرب المسلمين .

٣– قام التجار العرب المسلمين مستوطنات تجارية خارج حدود العالم العربي الإسلامي .

٤– أن سكان إيطالية و غاليا كانوا يعتمدون على القمح المستورد من مصر و آسيا و أفريقية الشمالية ، وأن مدينة " روما" مدينة طفيلية كانت تعيش على موارد البلاد المجاورة لها .

ثانياً – مشكلة الذهب :

– قال " بيرين" أن الفتوحات العربية الإسلامية أدت إلى اختفاء الذهب إلا أن البحث العلمي أثبت مايلي :

١– اتجاه الذهب من الغرب إلى الشرق كان منذ القرن الثالث الميلادي .

٢– برهن " لوبيز" أنه منذ أواخر القرن السادس الميلادي ازداد إنتاج العملة الفضية ونقص الذهب في أواخر عهد الميروفنجيين .

٣– إن سبب نقص الذهب هو لأن الغرب كان يستورد أكثر مما يصدر .

٤– إن نقص الذهب هو نتيجة رغبة رجال الدين و الإقطاعيين في الغرب الأوربي بسحب الذهب و خزنه .

ثالثاً – مشكلة البردي :

– قال" " بيرين" نتيجة الفتح العربي الإسلامي لمصر توقف تصدير البردي إلى الغرب الأوربي غيرأن ذلك غير صحيح للأسباب التالية :

١– يقول : " دانيت" أن تصدير البردي إلى الغرب بقي بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر .

٢– أن الميروفنجيين استمروا في استخدام البردي القادم من مصر بعد الفتح العربي الإسلامي لهذا البلد لأكثر من نصف قرن.

٣– منذ القرن السادس الميلادي أخذت المؤسسات الأوربية تكتب وثائقها و أخبارها على الصحائف الجلدية وذلك لأن أوراق البردي لم تكن قادرة على مقاومة الأجواء الرطبة .

٤– أن صناعة الورق انتقلت من الصين إلى العرب الذين نقلوها بدورهم إلى الغرب الذين لم يستخدمونه في البداية و أخذوا يستخدمون في البداية جلود الحيوانات .

رابعاً – مشكلة النبيذ :

– يقول: " هنري بيرين" أن الكنيسة الغربية توقفت عن استخدام النبيذ الفلسطيني في طقوس "الغربان"، وحقيقة الأمر أن المسلمين لم يشجعوا على صناعة الخمور لأنه محرم في الديانة الإسلامية ، ولكن على الرغم من ذلك ظلت صناعة الخمور بشكل محدود في المشرق العربي الإسلامي ، لأن الكنائس المسيحية في فلسطين و سورية ظلت تستخدم النبيذ في الطقوس الدينية ، كما أن بعض خلفاء بني أمية كانوا من المدمنين على تناول الخمور .

خامساً – مشكلة الأقمشة و التوابل :

أثبت العالم البلجيكي " ساب" حديثاً أنه لا يزال هناك تيار من واردات الأقمشة الشرقية خلال القرنيين التاسع والعاشر ، كما تدفقت التوابل إلى الغرب الأوربي بعد حوالي قرنيين أو أكثر من الفتح العربي الإسلامي .

– وهكذا تهاوت نظرية " هنري بيرين" وتحطمت أساسياتها أمام البحث العلمي الموضوعي .

ظهور المسيحية وانتشارها: (أول تاريخ العصور الوسطى الاوربية)

م م ابرار محمود صالح /قسم التاريخ/كلية التربية للبنات

ظهرت الديانة المسيحية في فلسطين وانتشرت في اقاليم الامبراطورية الرومانية المقدسة شرقا وغربا بشكل سريع، فهذه الديانة الشرقية، قدر لها أن تعترف بها الامبراطورية الرومانية بعد ثلاثة قرون من ظهورها، وتحديداً في مرسوم ميلان ٣١٣م، وبعد ذلك أصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية بعد عدة عقود، وهناك عدة أسباب لذلك منها: طبيعة تركيب الامبراطورية الرومانية، فقد كانت أجزاء الامبراطورية هذه الامبراطورية مرتبطة مع بعضها البعض بشبكة من الطرق ووسائل المواصلات لا نظير لها في العالم القديم، وساد الأمن في تلك الطرق وساعد ذلك على انتقال العقائد والافكار بين اقاليم الامبراطورية بسرعة، والى جانب ذلك طبيعة الديانة المسيحية التبشيرية ساعدت على سرعة انتشارها، فقد انتشرت في بادئ الامر بين الفقراء والمحرومين من سكان المدن، ثم أخذت تنتشر بين كل الفئات والطبقات. لقد كان المسيحيون الاوائل كلهم مبشرون كانوا يدعون الى ديانتهم الجديدة في حلهم وترحالهم، وبشروا بهذه الديانة بكل شجاعة واصرار دون خوف على الرغم من تعرضهم للأذى و الاضطهاد ، ويعد المسيحيين الأوائل هم تلامذة السيد المسيح والمقربين منه وسموا بالرسل والحواريين.

وفي مقدمة أولئك الرسل القديس بولص وهو مثقف يهودي ومواطن روماني من أهل طرسوس، كان في بدية الأمر خصما للمسيحية ثم صار من المؤمنين بها، تميز بثقافة عالية، فقد كان عارفا بتعاليم اليهودية وتراثها، وملما بالفلسفة اليونانية والافكار والاتجاهات التي كانت سائدة في عصرهن وكان مطلعا على الديانات الشرقية المختلفة، وبشر بالديانة المسيحية الجديدة وأحاط به مجموعة من التلاميذ المتحمسين لذلك، ولا بد من الاشارة الى ان الديانة الوثنية فقدت الكثير من حيويتها وجاذبيتها بسبب الانجازات الثقافية والفكرية اليونانية العظيمة، وحاول اغسطس رفع منزلته الى الالهة الرومانية ولكنه لم يوفق الا عندما أعلن الدين الجديد الرسمي للدولة الذي اكد على عبادة الامبراطور، ولكن هذه الديانة أثارت شكوك المثقفين والنابهين، ولاسيما ان الديانة الجديدة لا تتفق مع العقل والمنطق. ونتيجة لذلك انتشرت الديانة المسيحية لتملأ الفراغ الروحي آنذاك.

حقاً لقد عرضت المسيحية أشياء كثيرة كانت الاديان الشرقية قد عرضتها من قبل، ولكن المسيحية أضافت أشياء جديدة قصرت الديانات الاخرى عن بلوغها، ومنها تأكيدها

الاخوة الانسانية تحت رعاية الابوة الالهية، واعطت التعاليم المسيحية مفهوم جديد للحب والعطاء والاحسان، وذهبت بعيداً في عرض بعض الافكار الاجتماعية الواقعية التي تفيد السعادة في الحياة الدنيا والهناء في الآخرة، واعترفت المسيحية بحقوق السلطة الدنيوية، لقد وضع القديس بولص الاساس للفكر السياسي المسيحي، حيث قال لا توجد سلطة غير سلطة الله وتلك التي فوضها وخولها، ومن يقاوم هذه السلطة المفوضة يكون قد قاوم الله، وجزاء مثل هذا الهلاك والجحيم، ولم يتعرض المسيحيون الى الامبراطورية الرومانية أو ينافسونها في السلطة، طالما انهم اعتبروا الدنيا ضيوف فيها عابرون عن طريقها الى دار القرار ومملكتهم في ملكوت السماوات وليس في الدنيا، ولذلك لم تستأصلهم الامبراطورية الرومانية بصورة جدية، وعلى الرغم من ان المسيحيين لم يهاجموا الدولة الا انهم لم ينصاعوا لإرادتها، وحرصوا أن يكونوا مستقلون في عبادتهم وعقيدتهم دون السماح لأي تدخل فيها بأي شكل من الاشكال، وأخلصوا للمبدأ القائل أعطِ ما لقيصر لقيصر وما الى لله لله ولذا رفضوا بثبات واصرار عبادة الامبراطور الامر الذي كانت تعده الحكومة الرومانية مظهرا من مظاهر الولاء السياسي للحكومة الرومانية والذي نظر إليه المسيحيين بانه ألحاد.

موقف الحكومة الرومانية من الديانة المسيحية حتى عام ٣١٣م:

لم ترحب الحكومة الرومانية بالديانة المسيحية وقاومتها مقاومة شديدة، على الرغم من اتباع الحكومة سياسة التسامح تجاه الاديان المختلفة، وهناك عدة أسباب دفعت الحكومة للقيام بذلك:

- ان المسيحيين الاوائل كان جلهم تقريبا يقيمون في المدن، وعاشوا في عزله عن باقي الناس، مما أثار الشكوك حولهم وحمل السلطات الرومانية الوجل منهم ثم تم اتهامهم بالتآمر على سلامة الدولة.
- رفض المسيحيون عبادة الامبراطور، وعدوها ضرباً من الوثنية البغيضة، ورأت السلطات الرومانية في المسيحية الناكرة لعبادة الامبراطور، تهديدا خطيرا ليس لسلطان الامبراطور ومقامه الرفيع بل الامبراطورية وكيانها ومثلها.

ونتيجة للأسباب الآنفة الذكر، اندفعت الحكومة وعامة الناس الى مقاومة المسيحية، و وصلت تلك المقاومة الى حد التعذيب والقتل، وهناك مبالغات بهذا الشأن فإن الامبراطورية الرومانية لم تستأصل الديانة المسيحية، ومارس المسيحيون طقوسهم وعبادتهم بعيدا عن اعين السلطة ورقابتها، وافتضاح امرهم كان يعرضهم للعذاب والتنكيل، و واجهوا ذلك بمنتهى الشجاعة والثبات، وكان يلقى بهم أحيانا الى الوحوش والاسود في الساحات العامة امام المتفرجين دون ان يتراجعوا عن عقيدتهم، وهناك بعض الاباطرة لم يكونوا متشددون في مواجهة المسيحيون ولاسيما تراجان الذي بعث رسالة الى

احد حكام الولايات ذكر فيها ما دام المسيحيون لا يجاهرون بديانتهم وعقيدتهم فدعهم وشأنهم.

الاعتراف بالمسيحية (مرسوم ميلان):

صار واضحا منذ اوائل القرن الرابع على الرغم من إجراءات الحكومة الرومانية ضد المسيحية، سواء كانت تلك الاجراءات شديدة أم معتدلة، فإن عدد اتباع المسيحية في ازدياد مستمر تطلب ذلك الاعتراف بها، وتم اتخاذ هذه الخطوة من قبل الامبراطور قسطنطين عام ٣١٣م، وذلك بموجب مرسوم ميلان، حيث اصبحت المسيحية من الاديان المعترف بها في الامبراطورية الرومانية، وصارت على قدم المساواة مع باقي الاديان، ولم تكن دوافع قسطنطين واضحة، فأشارت الرواية المسيحية القديمة الى أن الامبراطور عند تقدمة الى أوربا في حربه ضد ماكنتوس وفي ساعة حرجة من ساعات الحرب رأى بعد غروب الشمس نورا من السماء و وسطه الصليب وتحته عبارة ستنتصر بفضل الله، فاتخذ قسطنطين الصليب شعارا له في المعركة فتم له النصر الامر الذي دفعه للاعتراف بالمسيحية، والحقيقة ان قسطنطين لم يصبح مسيحياً الا اواخر حياته، كما انه لم يتخل عن مفهوم عبادة الامبراطور، وهذا دليل على رغبته السياسية في القضاء على عامل التوتر والقلق في الامبراطورية هو الذي دفعه لتلك الخطوة وليس الاعتبارات الدينية المجردة، وأصيبت المسيحية بانتكاسة مؤقتة على يد الامبراطور جوليان المرتد (٣٦١-٣٦٣م)، ولكنها جاءت لتؤكد قوة الديانة الجديدة وصمودها، وفي عهد الامبراطور ثيودسيوس تم رفع الديانة المسيحية الى مستوى الديانة الرسمية للدولة، واعقبها قيام الحكومة الرومانية باضطهاد باقي الاديان وبذلك اصبحت الامبراطورية الرومانية مسيحية.

انتشار المسيحية خلال القرنين الرابع والخامس:

نجحت الكنيسة المسيحية في اوائل القران الرابع في اقامة مؤسسات ثابتة لها في كل جزء من اجزاء الامبراطورية، كما أرست لها قواعد راسخة تتمثل في النظام الكهنوتي والبابا والاساقفة، وعندما انهارت الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس حافظت الكنيسة على كيانها وقدرتها على البقاء بل انها مهيأة لبسط نفوذها على المجتمع الاوربي، ولم تنجح الكنيسة الكاثوليكية في تطوير الكنيسة فحسب بل انها توسعت جغرافياً متخطية حدود الامبراطورية الرومانية القديمة، وعندما فتح السكسون بريطانيا كادت المسيحية ان تدحر فيها، بل كادت العزلة ان تفرض على الجزر البريطانية برمتها، ونجح القديس باتريك في جعل الكثير من الايرلنديين يهتدون بالمسيحية، وصار عدد كبير من المبشرين الايرلنديين يبشرون بالديانة المسيحية بالجزر البريطانية، ونجحوا بذلك بشكل كبير، وفي الوقت نفسه كانت الامبراطورية في الشرق قوية وفرضت سلطتها على حساب الكنيسة وهذا الامر جعل الكنيسة الغربية أعلى شأنا من الكنيسة الشرقية.

الهرطقة:

تعرضت الكنيسة المسيحية الى العديد من حركات الانشقاق منذ فجر تاريخها، والمقصود بالهرطقة الخروج على العقيدة المعترف بها من قبل الكنيسة أو على جزء منها، فالهطرقة انشقاق وخلاف روحي وثقافي، ليس له صلة بالقضايا الاخلاقية أو المعاصي مهما كانت كبيرة، وعندما تطلب الامر ردا قويا وشاملا عن طريق الكنيسة، وكثيرا ما أدت مقاومة الحركات الهرطقية الى تقوية الكنيسة ومكانتها، ونتيجة لذلك قامت الكنيسة اعطاء تعريف دقيق ومحدد للعقيدة المختلف عليها واتخاذ اجراءات قمعية او إقناعيه تجاه الهراطقة. وظهرت معظم الحركات الهرطقية خلال القرون الاولى من تاريخ المسيحية ، والتي اغلبها يدور حول شخصية السيد المسيح، ولعل اريوس من اهالي الاسكندرية من اقدم الهراطقة الذي اشتقت منه الاريوسية ، وفي مؤتمر نيقيه عام ٣٢٥م الذي عقده قسطنطين والذي جمع فيه الاساقفة من جميع انحاء المعمورة، وبمساندة الامبراطورية الرومانية انتصرت وجهة نظر الكاثوليك، ولكن الاريوسية نجحت في كسب الكثير من القبائل الجرمانية لأعتناق افكارها.